

«الصالحين و الطالحين»

بقلم

أ/ عبد الوهاب زيدان أبو شهبة

اسم الكتاب: كلمات على فراش الموت

اسم المؤلف: أ/ عبد الوهاب زيدان أبو شهبة

عدد الصفحات: ٩٦

سنة الطبع: ٢٠١٦م- ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع



دار الشباب

٠١١٤٠٤٧٩٨٩٧

مقدمة

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصّر به آمال القياصرة، الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق فأرْداهم في الحافرة، فنقُلُوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مُقاساة الديدان والهوام، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في التراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فانظر هل وجدوا من الموت حصنًا وعزًّا؟! واتخذوا من دونه حجابًا وحِرْزًا، وانظر هل تُحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركْزًا؟!

فالموت كلمة ترتج لها القلوب، وتقشعر منها الجلود، ما ذُكر في قومٍ إلا ملكتهم الخشْية، وأخذتهم العبرة، وأحسُّوا بالتفريط، وشعروا بالتقصير فندموا على ما مضى، وأنابوا إلى ربِّهم، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»[١].

والموت ليس نهاية، بل هو بداية مرحلة جديدة.

ولو أنَّا إذا متنا تُركنا — لكان الموتُ راحة كل حيٍّ
ولكننا إذا متنا بُعثنا — ونُسأل بعده عن كل شيء

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٧).

وذكر الموت يُهوِّنُ المصائب، ويُعين على الرضا، ويحول بين الإنسان وبين الحرص على الدنيا، فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والركون إليها.

ولذلك قال كعب رضي الله عنه: مَنْ عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها.

وقال الحسن: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لُب فرحا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرتْ في عينه الدنيا.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكرت الموتى فعِدْ نفسك كأحدهم.

وقال الربيع بن خُثيم رحمه الله: ما غائب يتنظره المؤمن خيرًا له من الموت.

وقال آخر يوصي أخًا له: يا أخي احذر الموت في هذه الدار من قبل أن تصير إلى دارٍ تتمنى بها الموت فلا يوجد.

وقال آخر: مَنْ ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا.

وذكر عبد الله بن المبارك أن صالحًا المري كان يقول: إنَّ ذِكْر الموت إذا فارقني ساعة فسد عليَّ قلبي.

تفانَوْا جميعًا فما مُخْبرٌ وماتوا جميعًا ومات الخَبَرْ

تَروحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرى وَتُمحى مَحاسِنُ تلِكَ الصوُّرْ

فَيَا سَائِلِي عن أُناسٍ مَضَوْا أَمَا لَكَ فيما ترى مُعْتَبرْ؟

وهذه كلماتٌ قيلت على فراش الموت للصالحين والطالحين، وكلمات الصالحين وإنْ كانت قليلة المباني، إلَّا أنها جمة المعاني، فكلامهم يخرج كالضوء يتلألأ ينير القلوب، ويجلو صدأها، لتعود كالمرآة المصقولة، ويتدفق في النفوس كتدفق أمواه النهر، وكلمات الطالحين للعبرة والعظة.

-ولا تنس -أخي- قول ابن المقفع: «لا يَمْنعنَّك صغر شأن امريءٍ من اجتناء ما رأيت من رأيه صوابًا؛ فإنَّ اللؤلؤة الفائقة لا تُهان لهوان غائصها الذي استخرجها» (١).

وأخيرًا:

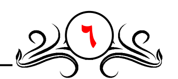
إنْ صادف هذا الكلام أنْسًا لوحْشتك، وحياةً لقلبك، وحُبًّا لطريق السلف الصالح وعلمائه والتابعين لهم، فلا تنْساني بدعوةٍ بظهر الغيْب وقُل: «اللَّهمَّ اجمع جامع هذه الوريقات مع هؤلاء القوم، وارزقه لذة النظر إلى وجهك الكريم».

هذا والله ﷻ أسأل أن يجعل عملي كله صالحًا، ولوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا.

خطه ببنانه
أ. عبد الوهاب زيدان أبو شهبة
كفر الدوار – بحيرة
٠١٢٢٤١٥١٦٠٨

---

(١) «الأدب الصغير» (ص ٤٦).



كلمات على فراش الموت

موت الأنبياء:

١ - موت خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام :

- أتى ملك الموت إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله، يقصد الله خليل إبراهيم، وإبراهيم خليل الله، وهل الخليل يقبض روح خليله؟

فقال المَلَكُ: وهل رأيت خليلًا يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقُبضتْ روحه[١].

- موت نوح عليه السلام :

روى الإمام أحمد في مسنده: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**... إنَّ نبيّ الله نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة، قال لابنه: إنِّي قاصٌ عليك الوصية آمرك باثنتيْن، وأنهاك عن اثنتيْن: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين**

(١) «فتح الباري» لابن حجر.

السبع لو وُضعت في كفة، ووُضعت لا إله إلا الله في كفة رجحتْ بهنَّ لا إله إلا الله، ولو أنَّ السموات السبع والأرضين السبع كُن حلقة مُبهمة فصمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده، فإنَّ بها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكِبْر»[1].

٢- اللحظات الأخيرة في حياة النبي ﷺ، سيد الأوّلين والآخرين[2]:

- بدأ مرض النبي ﷺ بعد عودته من حجة الوداع بحوالي ثلاثة شهور وقد ألمَّ به مرضٌ، وبدأ مرضه ﷺ في بيت زوجته ميمونة رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة» [رواه البخاري].

- وطلب الرسول ﷺ أن يُمرّض في بيت عائشة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد وجعه، استأذن أزواجه في أن يُمرّض في بيتي فأُذن له..» [رواه مسلم].

- وكان أول مرضه ﷺ الصداع، قال ابن رجب: فقد تبيَّن أنَّ أول مرضه كان صداع الرأس، والظاهر أنه كان مع حمى، فإنَّ

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ١١)، وقال: «هذا إسناده صحيح».

(٢)«الرسول القدوة» لحبيبي الشيخ سامي سالم -حفظه الله-. ط. الدار العالمية، بتصرف يسير.

الحمى اشتدت في مرضه، فكان يجلسُ في مِخْضب ويُصبُّ عليه الماء. [لطائف المعارف].

المخضب: الإناء الكبير.

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رجع النبي ﷺ ذات يوم من جنازة من البقيع، فوجدني وأنا أجدُ صداعًا وأنا أقول: وارأساه، قال: «**بل أنا والله يا عائشة وارأساه**» [رواه أحمد].

البقيع: موضع بظاهر المدينة فيه قبور الصحابة -رضوان الله عليهم-.

- ولقد أشار الرسول ﷺ إلى أصحابه -رضوان الله عليهم- باقتراب أجله، فقال ﷺ: «**خُذُّوا عنِّي مناسككم، لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» [رواه مسلم].

وذلك عندما خرج للحج في السنة العاشرة للهجرة.

قال النووي: «فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته». [شرح مسلم].

- وعن معاذ رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن خرج راكبًا، والنبي ﷺ يمشي تحت راحلته، فقال: «**يا معاذ، إنك**

عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي وقبري». فبكى معاذ لفراقه ﷺ، فقال: «**لا تبكِ يا معاذ، فإنَّ البكاء من الشيطان**» [رواه أحمد].

- وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، قال عمر رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما: «هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه» [رواه البخاري].

- وطلب النبي ﷺ لمّا اشتد وجعه أن يراهق عليه ماء، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ولما دخل بيتي واشتدّ وجعه، قال: «**هريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوْكيتهن، لعلِّي أعهد إلى الناس**» [رواه البخاري].

هريقوا: أي صُبُّوا.

أوْكيتهن: جمع وكاء، وهو ما يشد به رأس القربة.

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عن تحديد الرسول ﷺ لعدد القرب بسبع: أنَّ الأمر بالغسل منه سبعًا، إنما هو لدفع السميَّة التي في ريقه.

- ولقد توجع حبيبي ﷺ وحبيب كل المسلمين في مرضه الأخير من شدة الألم، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رجلًا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ» [رواه البخاري].

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فمسسْتُه بيدي فقلتُ: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «أجل إنِّي أوعك كما يوعك رجلان منكم» [رواه البخاري ومسلم].

يوعك: يتألم.

يقول العلماء أن هناك فائدتيْن من تشديد الموت على الأنبياء:

الأولى: تكميل فضائلهم، ومضاعفة أجورهم ورفع درجاتهم.

الثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، فإذا كان الأنبياء الصادقون عانيوا ألم الموت وشدّته وكربته مع كرامتهم على الله، قَطَعَ الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت.

- واستمر مرض الرسول ﷺ ثلاثة عشر يومًا، وهذا قول الأكثر، وكان أبو بكر رضي الله عنه يُصلِّي بالمسلمين أثناء مرضه ﷺ؛ لأن النبي ﷺ كان أمره بذلك.

اللحظات الأخيرة:

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبيٍّ يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة**».

قالت: فلما كان في مرض النبي ﷺ الذي قبض فيه، أخذته بُحّةٌ شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، فعلمت أنه قد خُيِّرَ» [رواه البخاري].

وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين من شهر ربيع الأول. [البداية والنهاية لابن كثير].

- آخر كلماته ﷺ قبل مماته:

- عن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبيّ ﷺ: «**الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكتْ أيمانكم**» [صحيح سنن أبي داود].

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ عند موته: «**الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»، حتى جعل يُلَجْلجُها في صدره، وما يفيض بها لسانه» [صحيح النسائي].

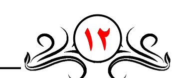
يُلجلجها: أي يرددها دون أن تبين، وما يفيض بها لسانه: أي ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

- «إن رسول الله ﷺ قُبض في بيتي ويومي، وبين سَحْري[١]

---

(١) **السَّحْر**: الرئة، **والنحر**: أعلى الصدر.



ونحْري، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت - دخل عليَّ أخي عبد الرحمن، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ إلى صدري وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفتُ أنه يعجبه ذلك، فقلتُ: آخذه لك؟

فأوْمأ برأسه أي: نعم، فناولته إياه، فأدخله في فيه، فاشتدَّ عليه، فناوليه، فقلتُ: أُلَيّنه لك؟ فأومأ برأسه، أي: نعم، فليَّنته له، فأمّره، وبين يديه ركْوة، أو قالت: عُلبة، فجعل يُدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ﷺ ويقول: «**لا إله إلا الله، إنَّ للموت سكرات**».

ثم نصب يده يقول: «**الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى**» حتى قُبض صلوات الله عليه ومالتْ يده» [رواه البخاري].

- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت، وعنده قدح فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «**اللّٰهم أعنِّي على سكرات الموت**» [رواه الترمذي].

- وعن أنس رضي الله عنه: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه [1]، فقالتْ فاطمة عليها السلام: واكربَ أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.

---

(١) **يتغشاه:** أي يغشاه الثقل شيئًا فشيئًا.

فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!. [رواه البخاري].

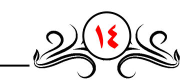
يا أنس، أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ في التراب ورجعتم؟!

يقول أبو سعيد الخدري: فما إن دفناه حتى أنكرنا قلوبنا - قستْ قلوبنا-.

- ولقد تأثر شاعر الرسول ﷺ حسّان بن ثابت لفقده ﷺ تأثرًا شديدًا، فأنشد قصيدة جميلة وطويلة يُعبر فيها عن حزنه الشديد لفراق النبي ﷺ، ووقوفه باكيًا على قبر النبي ﷺ، ويشيدُ فيها بصفاته، وتفرده، وعظمته ﷺ.

ونقتطع منها هذه الأبيات:

بِطيْبَـةَ رَسْـمٌ للرسـولِ وَمَعْهَـدُ
مُـنَيرٌ، وقـد تَعْفُـوا الرُّسُـومُ وتهْمَـدُ
أَطالَتْ وُقُوفا تـذرِفُ العـينُ جُهْدها
علـى طَلَـل القبْـرِ الـذي فيـه أَحْمَـدُ
فَبُورِكْتَ يـا قـبرَ الرَّسُولِ وبُورِكَتْ
بـلادٌ ثَـوى فيهـا الرَّشـيدُ المُسدَّدُ
إمـامٌ لهـمْ يَهديهمُ الحـقَّ جَاهـدًا
مُعلـمُ صِـدْقٍ إنْ يُطيعُـوهُ يَسْعَدُوا



عَفُوٌ عن الزَّلاتِ يَقبلُ عُذرَهُمْ
وإنْ يُحْسِنُوا فاللهُ بالخيْرِ أجْوَدُ
عَزِيزٌ عليه أنْ يحيدُوا عن الهُدى
حَرِيصٌ على أنْ يَستقيمُوا ويهْتدُوا
عَطوفٌ عليهمْ لا يُثنِّي جَناحَهُ
إلى كَنَفٍ يَحنُو عليهمْ وَيَمْهَدُ
فَجُودِي عليهِ بالدُّمع وأعْوِلي
لفقْدِ الذي لا مثلُهُ الدهرَ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الماضُون مثل مُحمَّد
ولا مِثْلُهُ حَتَّى القيامةِ يُفْقَدُ[١]

أما عن بعض وصاياه ﷺ قبل موته، فهي:

- «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم» [صحيح النسائي].
- «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظنَّ بالله» [رواه مسلم].
- «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» [رواه البخاري ومسلم].

أما عن حال الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ:

قال ابن رجب: ولما تُوفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم مَنْ أقعد فلم يطق القيام،

(١) «ديوان حسان بن ثابت».

ومنهم مَنْ اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم مَنْ أنكر موته بالكلية» [لطائف المعارف].

خولط: أي يهذي بالكلام.

وقال أنس رضي الله عنه: «ما رأيتُ يومًا كان أقبح ولا أظلم من يومٍ مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم» [رواه أحمد].

- وغُسِّل الرسول صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه، وكان ذلك يوم الثلاثاء، وذلك بعد وفاته بيوم؛ لأنهم انشغلوا ببيعة الصديق بقية يوم الإثنين، وبعض يوم الثلاثاء.

والذين تولُّوا غُسْلَ النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقُثَّم بن العباس، وأُسامة بن زيد (رضوان الله عليهم).

- وكُفِّن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثوابٍ بيض سحولية.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية» [رواه البخاري].

سحولية: نسبةً إلى سحول، وهي قرية باليمن، تُحمل منها هذه الثياب.

- وصلَّى الناس عليه أرسالًا أرسالًا (جماعات)، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد.



- ودُفِن ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها، فقد اختلف المسلمون أين يدفن، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وحسم الخلاف بما سمعه من رسول الله ﷺ فقد قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لن يُقبر نبيٌّ إلا حيث يموت**» فأخَّروا فراشه وحفروا له تحت فراشه. [رواه أحمد].

- ودُفِن ﷺ ليلة الأربعاء.

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «تُوفيَّ رسول الله ﷺ يوم الإثنين، وَدُفِنَ ليلة الأربعاء» [رواه أحمد].

وعنها قالت: «ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء» [رواه مسلم].

المساحي: وهي كالمجرفة التي تستخدم في حفر القبور.

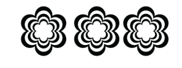
طِبْتَ حيًّا وميتًّا يا حبيبي يا رسول الله ﷺ، يا سيد الأوّلين والآخرين، يا شفيع المذنبين -بإذن الله-، يا قائد الغُرّ المُحْجلين، يا خير الخلق، وأحبهم إلى الله عز وجل.

ولله درّ القائل:

أيا عبدُ كم يراك اللهُ عاصيًا

حريصًا على الدنيا وللموت ناسيًا

أنــسِيت لقــاءَ اللهِ واللحــدِ والثــرى
ويومًــا عَبُوسًــا تــشيبُ فيــه النواصــيا؟
لـو أنَّ المرء لم يلبسْ ثيابًا من التُّقى
تجَــرَّد عُرْيانًــا ولــو كــان كاســيًا
ولــو أنَّ الــدنيا تــدوم لأهلــها
لكــان رســول اللهُ حيًّــا وباقيــا
ولكنهــا تفْنــى ويفنــى نعيمُهــا
وتبقــى الــذنوبُ والمعاصــي كمــا هِــيَ



الفصل الأول

١ - اللحظات الأخيرة في حياة الصحابة (رضوان الله عليهم).

مَنْ تأمل أحوال الصحابة -رضوان الله عليهم- وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف من الله ومن الموت، ونحن جميعًا بين التقصير، بل التفريط والأمن.

الصِّديق أبو بكر رضي الله عنه :

- عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر رضي الله عنه، فعاده (زاره) الناس، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟

قال: قد رآني.

قالوا: فأيُّ شيء قال لك؟

قال: قال: إنِّي فعَّالٌ لما أُريد[1].

وعن البهي مولى مصعب بن الزبير قال: لما احتضر أبو بكر جاءتْ عائشة رضي الله عنها، فتمثَّلت بهذا البيت:

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ

(١) «الزهد» لأحمد، وابن سعد في «الطبقات»، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي.

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

انظروا ثوبيّ هذين، فاغسلوهما، وكفِّنوني فيهما؛ فإنَّ الحيَّ أحوج إلى الجديد من الميت»[١].

- وأتى بطائر ثم قال: ما صِيدَ من صيْدٍ، ولا قُطعت شجرة من شجرة إلا بما ضيَّعتْ من التسبيح، فلمَّا احتضر قال لعائشة: يا بُنيَّة، إنِّي أصبْتُ من مال المسلمين هذه العباءة، وهذا الحلَّاب، وهذا العبد، فأسْرعي به إلى ابن الخطاب، وقال: والله لوددتُ أنِّي كنتُ هذه الشجرة تؤكل وتعضد[٢].

- وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: ليتني خضرة تأكلني الدواب.

- وعن عائشة أنها قالت وأبو بكر يقضي:

وأبيضُ يُسْتسقى الغمامُ بوجهِهِ
ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ»[٣].

---

(١) «الزهد» لأحمد، و«الثبات عند المات» لابن الجوزي.
(٢) «الداء والدواء» لابن قيم الجوزية.
(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٩٨).



الفاروق عمر رضي الله عنه :

- عن عمرو بن ميمون قال: لما طُعن عمر قال: يا ابن عباس انظر مَنْ قتلني، فجال ساعة، ثم جاء فقال: غُلام المغيرة، فقال: الصَّنع؟

قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام، فدخلوا عليه وفيهم رجل شاب، فإذا إزاره يمسّ الأرض فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انطلق إلى عائشة أمّ المؤمنين فقُل: يقرأ عليك عمر السلام -ولا تقل أمير المؤمنين، فإنِّي لسْتُ اليوم للمؤمنين أميرًا- وقل: يستأذن عمر أن يُدفن مع صاحبيه، فمضى وجاء، فقال: أذِنتْ، فقال: الحمد لله، ما كان شيء أهمُّ إلَيَّ من ذلك، فإذا أنا قُبضتُ فاحملوني، ثم سلّم، وقل: يستأذن عمر فإن أذنتْ لي فأدخلوني، وإن ردّتني فردُّوني إلى مقابر المسلمين[(١)].

لله درّك يا عمر، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر وأنت في سكرات الموت، لم يشغلك الموت ولا سكراته، لقد عقمتْ النساء أن يلدْنَ مثلك، فأنت غُرَّةٌ في جبين الزمان، أُمَّة في رجل،

(١) رواه البخاري في المناقب، والنسائي في «السنن الكبرى».

إمامٌ همام، مُميت الفتن، ومُحيي السُّنن، وحقًا وجبتْ على الشياطين أن تفر منك حيًّا وميِّتًا.

قال مجاهد: كنا نتحدث أن الشياطين مُصفدة في زمن عمر، فلمَّا قُتل وثبتْ في الأرض»[(١)].

- وعن ابن عمر قال: كان رأس عمر في حجري في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع خدي على الأرض.

فقلْتُ: وما كان عليك كان في حجري أو على الأرض؟

فقال: ضعه لا أم لك.

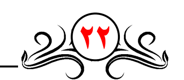
فوضعته، فقال: ويلي، ويلٌ لأمِّي إنْ لم يرحمني ربِّي[(٢)].

- وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدِّي على الأرض، عساه أن يرحمني، ثم قال: بل وَيْلُ أمي إنْ لم يغفر لي، ثلاثًا، ثم قضى[(٣)].

- وقال له ابن عباس: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددتُ أني أنجو لا أجر ولا وزر[(٤)].

- وعن ابن عباس قال: لما طُعن عمر قلتُ له: أبشر بالجنة.

(١) «مناقب أمير المؤمنين» لابن الجوزي.
(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٥٢) والمحتضرين» لابن أبي الدنيا (ص ٥٥).
(٣) «الداء والدواء» لابن قيم الجوزية.
(٤) «الداء والدواء».



فقال: والله لو كان لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر[(١)].

- وفي رواية: لما طُعن عمر رضي الله عنه جاء ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين! أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، وقُتلت شهيدًا ولم يختلف عليك اثنان، وتُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، فقال له:

أعد عليَّ مقالتك، فأعاد عليه، فقال: المغرور مَنْ غررتموه، والله لو أنَّ لي ما طلعتْ عليه الشمس أوْ غربت لافْتديْتُ به من هول المطلع»[(٢)].

- وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال حين طُعن:

لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب ساعة -يقصد الموت- فكيف ولم أرد النار بعدُ؟[(٣)].

- ولله در حافظ إبراهيم حين يقول:

أمنت لما أقمت العدل بينهمُ

فمتَ نوم قرير العين هانيها

(١) الطبقات لابن سعد، والمحتضرين ص ٥٦.

(٢) وصايا العلماء.

(٣) مناقب عمر.

فمن يُباري أبا حفص وسيرته

أو من يحاول للفاروق تشبيها؟

كذلك أخلاقه كانت وما عهدتْ

بعد النبوة أخلاقٌ تحاكيها

لله درك يا فاروق الأمة، يا مُرقع القميص، وبين يديك الغالي والنفيس.

يا مَنْ تطيبُ المجالس بذكرك.

عثمان ذو النورين رضي الله عنه:

- لما احتضر عثمان بن عفان رضي الله عنه جعل يقول ودمه يسيل منه: لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين، اللَّهم إنِّي أستعينُ بك على أموري، وأسألك الصبر على بلائي.

- وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبلَّ لحْيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتُّهما يُؤمر بي، لاخترتُ أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصيرُ[1].

- وكان عثمان رضي الله عنه: إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر تبكي؟

(١) «الداء والدواء».

فقال: إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة، فإنْ نجا منه فما بعده أيسر، وإنْ لم ينج منه فما بعده أشدّ**»[(١)].

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما رأيتُ منظرًا قطّ إلا والقبر أفزع منه**»[(٢)].

- وعن سعيد بن مسلم بن بانك، عن أبيه:

أنَّ عثمان بن عفان قال مُتَمثِّلًا يوم دُخل عليه فقُتل:

أرى الموت لا يُبقي عزيزًا ولم يدْعِ
لعادٍ ملاكًا في البلاد ومرتقًا

وقال أيضًا:

يُبيِّتُ أهل الحصن والحصنُ مغلقٌ
ويأتي الجبال في شماريخها العُلا[(٣)]

- ودخل عليه - وهو محصورٌ - الحسن بن علي وعليه سلاحه، فقال: يا أمير المؤمنين، ها أنذا بين يديك فمُرني بأمرك، فقال له عثمان: يا ابن أخي وصلتك رَحِم، إنَّ القوم ما يريدون غيري، ووالله لا أتوقى بالمؤمنين، ولكن أُوَقِّي المؤمنين بنفسي.

---

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه - وصححه أحمد شاكر.
(٢) حسن: حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٣).
(٣) «المحتضرين» (ص ٥٧).

فقال له أبو قتادة: يا أمير المؤمنين، إنْ كان من أمرك كون، فما تأمر؟.

قال: انظروا ما أجمعتْ عليه أمة محمد، فإنَّ الله لا يجمعهم على ضلالة، كونوا مع الجماعة حيث كانت.

قال بشار بن موسى العجلي: فحدَّث به حماد بن زيد، فرقّ، ودمعتْ عينه، وقال: رحم الله أمير المؤمنين، حُوصِرَ نيْفًا وأربعين ليلة، لم تبدُ منه كلمة يكون لمتبدع فيها حُجة[(١)].

ولله درّ حسان حين يقول:

إنِّي رأيْتُ أمين الله مضطهدا
عثمان رهنًا لدى الأحداث والكفن
يا قاتل الله قومًا كان شأنهم
قتل الإمام الأمين المسلم الفطن
ما قاتلوه على ذنبٍ ألمَّ به
إلا الذي نطقوا بُوقًا ولم يكن[(٢)]

ولما استُشهد رضي الله عنه فتَّشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقًا مُقفلًا، ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوبًا عليها (هذه وصية عثمان).

(١) «ابن عساكر» في تاريخ دمشق، و«المحتضرين» لابن أبي الدنيا.
(٢) «ديوان حسان بن ثابت».



عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

- قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يجود بنفسه بعد أن طُعن لابنه الحسين رضي الله عنه : أوصيك يا بنيّ أن تغسلني بعد موْتي، ولا تغال في الكفن، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تغالوا في الكفن، فإنه يسلب سلْبًا سريعًا**»، امشوا بي المشيتين، لا تسرعوا بي، ولا تبطئوا، فإن كان خيرًا عجلتموني إليه، وإن كان شرًّا ألقيتموني عن أكتافكم.

وعن محمد بن علي بن أبي طالب أن عليًّا لما ضُرب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ: «**لا إله إلا الله**» حتى قبضه الله(١).

معاذ بن جبل رضي الله عنه :

- وعن عمرو بن قيس:

أنَّ معاذ بن جبل لمَّا حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟

قال: فقيل: لم نصبح، حتى أُتِيَ فقيل له: قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت، مرحبًا زائر مُغبٍّ(٢)، حبيب جاء على فاقة، اللّهم إنك تعلم أني كنتُ

(١) «كتاب المحتضرين».
(٢) قليل الزيارة.

أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرْي [(١)] الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر [(٢)].

أبو الدرداء رضي الله عنه :

- وهذه نداءات قلبية صادقة عن أبي الدرداء رضي الله عنه وهو يحتضر فقد جعل يقول: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ وبكى، فقالت امرأته: تبكي وقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لها: ومالي لا أبكي ولا أدري علام أُهجم من ذنوبي، ثم قُبض رحمه الله .

- وكان يقول رحمه الله :

إنَّ أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يُقال لي:

يا أبا الدرداء، قد علمت، فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعامًا على شهوة، ولا شربتم شرابًا على شهوة، ولا دخلتم بيتًا تستظلون

(١) حفرها.
(٢) «الزهد» لأحمد، و«صفة الصفوة».

فيه، ولخرجتم إلى الصعيد، تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددتُ أني شجرة تعضد ثم تؤكل(١).

بلال بن رباح رضي الله عنه:

- عن سعيد بن عبد العزيز: «قال بلال حين حضرته الوفاة: غدًا نلقي الأحبة، محمدًا وحزبه، قال: تقول امرأته: وا بلالاه.

قال: يقول هو: وا فرحاه(٢).

وفي رواية:

فقال لها: بل وا طرباه، غدًا نلقي الأحبة محمدًا وصحبه.

أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه:

كان أبو ذر يقول: يا ليتني كنتُ شجرة تعضد، ووددتُ أني لم أُخلق، وعُرضتْ عليه النفقة فقال: ما عندنا عنز نحلبها، وحمر نتقل عليها، ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإنِّي أخاف الحساب فيها(٣).

- ولما حضرته الوفاة، بكت زوجته، فقال ما يبكيك؟

قالت: وكيف لا أبكي وأنت تموت بأرض فلاة، وليس معنا ثوب يسعك كفنًا.

---

(١) «الداء والدواء».

(٢) «المحتضرين»، و«الثبات عند المهات».

(٣) «الداء والدواء».

فقال لها: لا تبك، وأبشري، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا منهم: ليموتنَّ رجلٌ منكم بفلاةٍ من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلا ومات في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق.

قالت: أنَّي وقد ذهب الحاج وتقطّعت الطريق.

فقال: انظري، فإذا أنا برجال فألحتُ بثوبي، فأسرعوا إليَّ فقالوا: مالك يا أمة الله؟ قالت: امرؤ من المسلمين تكلفونه..

فقالوا: من هو؟

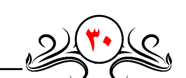
قالت: أبو ذر.

قالوا: صاحب رسول الله ﷺ.

ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ودخلوا عليه فبشَّرهم، وذكر لهم الحديث.

وقال: أنشدكم بالله، لا يُكفِّنني أحدٌ كان أميرًا أو عريفًا أو بريدًا.

فكل القوم كانوا نالوا من ذلك شيئًا غير فتى من الأنصار فكفَّنه في ثوبين لذلك الفتى، وصلَّى عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .



عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

- وعن أنس بن مالك قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده (نزوره) في مرضه، فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟

قال: أصبحنا بنعمة الله إخوانًا.

قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: أجد قلبي مُطمئنًا بالإيمان.

قلنا: ما تشتكي أبا عبد الرحمن؟

قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي.

قلنا: ما تشتهي شيئًا.

قال: أشتهي مغفرة الله ورسوله.

قلنا له: ألا ندعو لك طبيبًا؟

قال: الطبيب أمرضني[(١)].

- ولمَّا حضر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الموت دعا ابنه فقال: يا عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، إني أوصيك بخمس خصالٍ، فاحفظهن عني، أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل، ودع مطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر،

---

(١) كتاب المحتضرين.

وَدَعْ ما تعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به، وإن استطعت ألا يأتي عليك يوم إلا وأنت خيرٌ منك بالأمس، فافعلْ، وإذا صلَّيت صلاةً فصلِّ صلاة مُودِّع، كأنك لا تُصلِّي بعدها.

سلمان الفارسي رضي الله عنه :

- عن الحسن قال: بكى سلمان عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضنًّا بدنياكم، ولا جزعًا من الموت، ولكن قلة الزاد، وبُعد المفاز[(١)] .

- وبكى سلمان الفارسيّ عند موته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب، وحولي هذه الأزواد.

وقيل: كان حوله إجانة وجفنة ومطهرة!!

والإجانة: إناء يجمع فيه الماء، والجفنة القصعة التي يوضع فيها الماء والطعام، والمطهرة: إناء يتطهر فيه.

- وعن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: عَهدٌ عَهدهُ رسول الله ﷺ، لم نحفظه.

قال: ليكن بلاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب، وأما أنت يا

(١) المحتضرين.



سعد فاتق الله في حكمك إذا حكمت، وفي قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعًا وعشرين درهمًا نُفيْقة كانت عنده[1].

الصحابيّ الجليل (أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه :

لما حضرت أبا موسى رضي الله عنه الوفاة، دعا فتيانه وقال لهم: اذهبوا فاحضروا لي وأعمقوا ففعلوا.

فقال لهم: اجلسوا بي، فو الذي نفسي بيده إنها لإحدى المنزلتيْن، إما ليوسعنَّ قبري حتى تكون كل زاوية أربعين ذراعًا، وليفتحنَّ لي باب من أبواب الجنة، فلأنظرنّ إلى منزلي فيها، وإلى أزواجي، وإلي ما أعدّ الله عز وجل لي فيها من النعيم، ثم لأنا أهدي إلى منزلي في الجنة منِّي اليوم إلى أهلي، وليصيبني من روحها وريحانها حتى أبعث.

وإنْ كانت الأخرى ليضيقنَّ على قبري حتى تختلف فيه أضلاعي، حتى يكون أضيق من كذا وكذا، وليفتحنّ لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرنّ إلى مقعدي وإلى ما أعدَّ الله عز وجل فيها من

(١) حلية الأولياء، وعند مسند أحمد.

السلاسل والأغلال والقرناء، ثم لأنظرن إلى مقعدي من جهنم لأهدى منِّي اليوم إلى منزلي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أُبعث.

أبو هريرة رضي الله عنه :

- عن سلم بن بشير أنَّ أبا هريرة بكى في مرضه فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلة زادي، وأنِّي أمسيتُ في صعودٍ، ومهبطة على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يُؤخذ بي[(١)].

- وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة رضي الله عنه في شكواه الذي مات فيه، فقال: شفاك الله.

فقال أبو هريرة: اللّهم إنِّي أحبُّ لقاءك فأحبّ لقائي[(٢)].

أمين الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : «إنِّي كنت مع أبي عبيدة، وإنَّ الطاعون وقع بالشام، وإن عمر كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا، فإنِّي أعزم عليك، إنْ أتاك مصبحًا أن لا تمسي حتى تركب، وإنْ

(١) الزهد لابن المبارك، والمحتضرين.
(٢) الثبات عند المات.

أتاك ممسيًا أن لا تصبح حتى تركب إليَّ، فقد عرضت لي إليك حاجة، لا غنى لي عنك فيها، فلمَّا قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إنَّ أمير المؤمنين يستبقي مَنْ ليس بباقٍ.

فكتب إليه أبو عبيدة: إنِّي في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم، وقد عرفت حاجة أمير المؤمنين فحلِّلني من عزمتك، فلما جاء عمر الكتاب بكى، فقيل له: تُوفي أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد - أي قرب ميعاد وفاته بسبب مرض الطاعون، طاعون عمواس[(١)].

- وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عند موته:

وددتُ أن أكون كبشًا فذبحني أهلي، فأكلوا لحمي، وحسوا مرقي.

عمرو بن العاص رضي الله عنه :

- لما دنا الموت من عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لحراسه ورجاله: هل تُغنون عنِّي من الله شيئًا؟

قالوا: لا، قال: فاذهبوا وتفرّقوا عنِّي.

ثم أمرهم بحمله إلى المسجد، فقال: اللّهم إنك أمرتني فعصيتُ، وأئتمنتني فخنْت، وحدّدت لي فتعديتُ، اللّهم لا بريء فأعتذر، ولا قويّ فأنتصر، بل مُذنبٌ مُستغفر، لا مُصرٌّ ولا مستكبر.

---

(١) إسناده صحيح.

ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين، فلم يزل يُردِّدها حتى مات[(١)].

- وعن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص، عجبًا لمن نزل به الموتُ، وعقله معه كيف لا يصفه؟ فلمَّا نزل به الموت، ذكّره ابنه بقوله، وقال له: صِفْهُ. قال: يا بُنيّ! الموت أجلُّ من أن يُوصف، ولكنِّي سأصف لك، أجدني كأنَّ جبال رضْوى على عُنقي، وكأنّ في جوفي الشوك، وأجدني كأنَّ نَفَسي يخرجُ من إبرة[(٢)].

- وفي رواية عن أبي نوفل قال:

لما جدّ بعمرو بن العاص، وضع يده موضع الغلال (الأغلال) من رقبته، فقال: اللّهم أمرتنا فتركنا، ونهيْتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك.

فكانت تلك هِجيِّراه[(٣)] حتى مات[(٤)].

وعن ابن شماسة المهري قال:

حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلًا

---

(١) اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات.
(٢) المحتضرين.
(٣) **الهجِّيري**: كثرة الكلام.
(٤) «الزهد» لابن المبارك، و«المسند» لأحمد.



وحوَّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه! أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟

أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إنَّ أفضل ما نعدُّ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، إنِّي كنتُ على أطباق (أحوال) ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشدّ بُغضًا لرسول الله ﷺ منِّي، ولا أحب إليَّ أن أكون قد استمكنْتُ منه فقتلْتُه، فلو متّ على تلك الحال لكنتُ من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبيّ ﷺ، فقلتُ: ابْسُط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضتُ يدي. قال: مالك يا عمرو؟، قال: قلتُ: أردتُ أن اشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلتُ: أن يُغفر لي، قال: أما علمت أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحجَّ يهدمُ ما كان قبله؟، وما كان أحدٌ أحبّ إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنتُ أطيقُ أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ؛ لأنِّي لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوتُ أن أكون من أهل الجنة، ثم وَلِينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مُتُّ، فلا تصحبني نائحةٌ، ولا نار، فإذا دفنتُموني

فشُنُّوا عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما يُنحر جَزَوُرٌ ويُقسم لحمها حتى أستأنس بكر وانظر ماذا أراجع به رُسل ربِّي[(١)].

- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

ولمَّا حضرت معاوية رضي الله عنه الوفاة قال: أقعدوني فأقعدوه، فجعل يذكر الله ويُسبِّحه ويُقدِّسه، ثم قال مُخاصمًا نفسه الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطاط والانعدام ألا كان ذلك وغصن الشباب لنضير ريَّان، وبكى حتى علا بكاؤه ثم قال:

هو الموتُ لا منجي من الموت والذي
أحاذر منه الموت أدْهى وأفْظعُ

ثم قال: يا ربّ، ارحم الشيخ العاصي، ذا القلب القاسي، اللَّهم أقل العثرة، واغفر الزَّلة، وجُدْ بحلمك على مَنْ لم يرجُ غيرك، ولا وثق بأحدٍ سواك.

ويروى أنه قال في جملة ما قال: يا ليتني كنتُ رجلًا من سائر قريش بذي طوى، ولم آل من هذا الأمر شيئًا[(٢)].

- وقال الحسن البصري رحمه الله :

دُخل على معاوية وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟! قال: ما

---

(١) صحيح مسلم، باب الإيمان (١/ ١٩٢).
(٢)«اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات» (ص ١٤٤، ١٤٥).

أبكي على الموت أن حلَّ بي، ولا على دنيا أخلفُها، ولكن هما قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أيّ القبضتيْن أنا[١].

- وعن محمد بن سيرين رحمه الله قال:

مرض معاوية مرضًا شديدًا، فنزل عن السرير، وكشف ما بينه وبين الأرض، وجعل يلزق ذا الخدِّ مرة بالأرض، وذا الخدّ مرة بالأرض، ويبكي ويقول: اللّهم إنك قلتَ في كتابك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

اجعلني ممن تشاء أن تغفر له[٢].

- حرام بن ملحان رضي الله عنه:

- قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما طُعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزتُ وربِّ الكعبة[٣].

- أنس بن مالك رضي الله عنه:

- عن أنس بن سيرين قال: شهدتُ أنس بن مالك، وحضره

(١) كتاب «المحتضرين».
(٢) كتاب «المحتضرين».
(٣) «صحيح البخاري».

المـمات فجعل يقـول: لقِّنوني لا إله إلا الله، فلـم يـزلْ يقولها حتى قُبض رحمه الله[١].

- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

- عـن سعد بن أبي وقاص قال: كـان حمزة يُقاتل يوم أُحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيْفيْن ويقول: أنا أسد الله[٢].

- وفقد رسول الله ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء (رجع) الناس من القتال، قال: فقال رجلٌ: رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول: أنا أسد الله، وأسد رسوله[٣].

- حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

- لمَّا نزل الموت بحذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حبيبٌ جاء على فاقة، قد كنتُ قبل اليوم أخشاك، وأنا اليوم أرجوك.

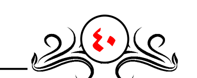
- وعـن أسـد بـن وداعـة قـال: لمـا مرض حذيفـة مرضـه الـذي مات فيه، قيل له: ما تشتهي؟

قال: أشتهي الجنة.

قالوا: فما تشتكي؟

---

(١) «الثبات عند الممات».
(٢) أخرجه الحاكم، وصححه الذهبي.
(٣) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك».



قال: الذنوب.

قالوا: أفلا ندعو لك بطبيب؟!

قال: الطبيب أمرضني، لقد عشتُ على خِلال ثلاث:

للْفقر فيكم أحبّ إليّ من الغنى، وللضَّعة فيكم أحبّ إليّ من الشرف، وإنَّ مَنْ حمدني منكم ولامني في الحق سواء، ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: اللّهم إنِّي أعوذ بك من صباح النار، حبيبٌ جاء على فاقة، لا أفلح مَنْ ندم[1].

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

- عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: غُشِيَ على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده وجلّلوه، فأفاق يُكبِّر، فكبَّر أهل البيت، ثم قال لهم: غشي عليّ آنفًا؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين.

فقال: ارجعا، قال: أين تذهبان بهذا؟

قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين.

(١) «الثبات عند المهات»، و«صفة الصفوة».

فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهرًا[١].

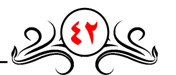
- وأوصى عبد الرحمن بخمسين ألف دينار في سبيل الله، فكان الرجل يُعطي منها ألف دينار.

عثمان بن مظعون رضي الله عنه :

- عن أم العلاء ذكرتْ أن عثمان بن مظعون اشتكى عندهم فمرَّضناه حتى توفي، فأتى رسول الله ﷺ، فقلت: شهادتي عليك أبا السائب، لقد أكرمك الله! فقال رسول الله ﷺ: «**وما يدريك؟**»، قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، والله إنِّي لأرجو له الخير، وإنِّي لرسول الله، وما أدري ما يفعل بي**».

قالت: فوالله لا أُزكي بعده أحدًا، قالت: فأحزنني ذلك فنمتُ، فرأيتُ لعثمان عينًا تجري، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «**ذاك عمله**»[٢].

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم (٣/٣٠٧).
(٢) صحيح البخاري في مناقب الأنصار.



- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون[١].

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

- عن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضي فبكيتُ، فرفع رأسه إليَّ، فقال: أي بُنيّ ما يبكيك؟

قلتُ: لمكانك، وما أرى بك.

قال: لا تبك، فإنَّ الله لا يُعذبني أبدًا، وإنِّي من أهل الجنة.

قال الذهبي: صدق والله، فهنيئًا له[٢].

الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما:

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال:

«لمَّا أن حضر الحسن بن عليّ الموت، بكى بكاءً شديدًا، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي، وإنما تقدم على رسول الله ﷺ، وعلى عليّ وفاطمة وخديجة وهم ولدوك، وقد أجرى الله على لسان نبيِّه أنك: «سيد شباب أهل الجنة»، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجًّا؟ وإنما أراد أن يطيِّب نفسه.

(١) أخرجه الترمذي.
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي.

قال: فوالله ما زاده إلا بكاءً وانتحابًا، وقال: يا أخي، إنِّي أقدمُ على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط[١].

- ولما حضر الموت بالحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: اخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأُخرج فقال: اللّٰهم إنِّي أحتسبُ نفسي عندك، فإنِّي لم أُصب بمثلها!.

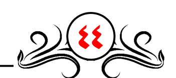
الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما:

- قال الحسين رضي الله عنه في قوم قتله: «اللّٰهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت فيما نزل بي ثقة، وأنت وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة...».

خالد بن الوليد رضي الله عنه:

- عن أبي الزناد: أنَّ خالد بن الوليد لما احتُضِرَ بكى، وقال: لقيتُ كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير فلا نامتْ أعين الجبناء[٢].

(١) «المحتضرين».
(٢) السير.



- وعن أبي وائل قال:

لما حضرت خالدًا الوفاة قال:... إذا متُّ، فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله [(١)].

عبد الله بن جحش رضي الله عنه :

- عن سعد بن أبي وقاص أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوْا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال:

«يا رب إذا لقيت العدو غدًا فلقِّني رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حرده [(*)]، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأُذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله: مَنْ جَدع أنفك وأذنك؟ فأقولُ: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت، قال سعد: لقد رأيته آخر النهار وإنَّ أنفه وأذنه لمعلَّقتان في خيط» [(٢)].

عُمَيْر بن الحُمام رضي الله عنه :

- عن أنس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**».

---

(١) السير.

(*) **حرده**: أي غضبه.

(٢) رواه الطبراني، وصفة الصفوة (١/ ٣٨٥) لابن الجوزي، ومجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٧٠)، وحلية الأولياء.

فقال عُمير: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟

قال: «**نعم**»، قال: بَخٍ بَخٍ[(١)].

فقال رسول الله ﷺ: «**وما يحملك على قول: بخٍ بخٍ؟**»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهُنَّ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياةٌ طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل[(٢)].

ثابت بن قيس رضي الله عنه:

- عن أنس أنَّ ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنَّط، ولبس ثوبيْن أبيضيْن يُكفن فيهما، وقد انهزم القوم فقال: اللَّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عوَّدتم أقرانكم، خلّوا بيْننا وبينهم ساعة، فحمل فقاتل حتى قُتل[(٣)].

سعد بن الربيع رضي الله عنه:

- عن يحيى بن سعيد قال:

لمَّا كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: ومَنْ يأتيني بخبر سعد بن

---

(١) بَخٍ بَخٍ، كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه.
(٢) صحيح مسلم [١٩٠١].
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، وطبقات ابن سعد.

الربيع، فقال رجلٌ: أنا يا رسول الله، فذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال له سعد بن الربيع، ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك، قال: فاذهب إليه فاقرئه منِّي السلام، وأخبره أني قد طُعنتُ اثنتي عشرة طعنة، وأنْ قد أُنفِذَتْ مقاتلي، وأخبر قومك: أنه لا عذر لهم عند الله إنْ قُتِل رسول الله ﷺ وأحدٌ منهم حيٌّ[(١)].

موت العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

- عن عبد الله بن إبراهيم القرشي قال:

لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه: يا عبد الله، إنِّي والله ما متُّ موتًا، ولكنِّي فنيتُ فناءً، وإنِّي مُوصيك بحب الله وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإنِّي استودعك الله يا بنيّ.

ثم استقبل القبلة فقال: لا إله إلا الله، ثم شخص ببصره فمات[(٢)].

عمَّار بن ياسر رضي الله عنه:

- عن سعد بن إبراهيم الزهري عن أبيه عمن حدَّثه: سمع عمّارًا بصفِّين يقول: أزفتِ الجنان، وزُوِّجتُ الحور العين، اليوم نلقي حبيبنا محمدًا ﷺ[(٣)].

---

(١) «صفة الصفوة».
(٢) «مختصر تاريخ دمشق».
(٣) السير.

- وعن أبي البختري قال: قال عمّار يوم صفِّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن**»[١]، ثم تقدَّم فقُتِل[٢].

- وفي رواية: ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقي الأحبة محمدًا وحزبه[٣].

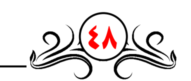
سواد بن غزية رضي الله عنه:

- حينما كان الرسول ﷺ يُسوِّي صفوف الصحابة وهو يُعدِّهم للقتال في غزوة بدر، وكان في يده قدح (أي سهم)، فمرَّ الرسول ﷺ فإذا هو متقدم عن الصف، فطعنه به في بطنه، وقال له: استقم يا سواد، فقال: يا رسول الله، لقد أوْجعتني، وقد بعثك الله بالحق نبيًّا فأقدني منك، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استعد يا سواد، فاعتنقه، فقبَّل بطنه، فقال له الرسول ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟

قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأحببتُ أن يكون آخر عهدي بك في الدنيا أنْ يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٣١٩)، والحاكم.
(٢) السير.
(٣) «الثبات عند الممات».



أنس بن النضر رضي الله عنه:

- لمَّا كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللّٰهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المشركين - ثم تقدَّم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربّ النضر، إنِّي أجدُ ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلتْ فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣][(١)].

عمرو بن الجموح رضي الله عنه:

- كان رضي الله عنه أعرجًا، فلم يشهد بدرًا، فلما حضرت أُحد أراد الخروج فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج وإنِّي لأرجو أن

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم [١٩٠٣].

أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال: «**أما أنت فقد عذرك الله**»، وقال لبنيه: « **لا عليكم أن لا تمنعوه، لعلَّ الله ﷻ يرزقه بالشهادة**»، فتركوه، قالت امرأته: فكأني أنظر إليه مُوليًا قد أخذ درقته، وهو يقول: اللّٰهم لا تردَّني إلى حزبي(١).

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال رجلٌ من بني مُرّة بن عوف: لكأنِّي أنظر إلى جعفر يوم «مُؤتة» حين اقتحم على فرس له شقراء، فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل(٢).

وقال جعفر بعد عقر جواده:

يا حبَّذا الجنة واقترابُها ... طيّبةٌ وبارد شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها ... عليّ إن لاقيتها ضِرابُها

- وروى البخاري عن ابن عمر قال:

أنه وقف على جعفر يومئذٍ وهو قتيل، فعددتُ به خمسين، بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دُبُره، يعني: ظهره.

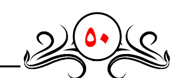
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

- عن عروة بن الزبير قال:

لمَّا تجهَّز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة، قال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥٧/٣) للذهبي، و«أسد الغابة» (٢٠٨/٤) لابن كثير، و«صفة الصفوة».
(٢) إسناده قوي.



ثم قال عروة: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أنَّ هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألفٍ من الروم، وانضمت إليهم المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم.

وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا.

قال: فشجَّع عبد الله بن رواحة الناس، ثم قال: والله يا قوم: إنَّ الذي تكرهون للذي خرجتم له، تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين، إما ظهور وإما شهادة.

قال: فقال الناس: قد – والله– صدق ابن رواحة فمضوا[(١)].

- وعن الحكم بن عبد السلام:

إنَّ جعفر بن أبي طالب حين قُتِل دعا الناس: يا عبد الله بن رواحة، وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنتِ مع الدنيا، ثم تقدَّم فقاتل فأصيبت إصبعه، فجعل يقول:

---

(١) «الثبات عند الممات».

هـل أنـت إلا إصبـع دَميـتِ   في سـبيل الله مـا لاقيـتِ

ثـم قـال: يـا نفسُ إلى أيَّ شيءٍ تتـوقين؟ إلا فلانـة؟ فهـي طـالق ثلاثًا.

وإلى فلان وإلى فلان - غِلْمانٌ له-، وإلى معجف (حائط) له، فهو لله ورسوله ﷺ.

يا نفسُ مالك تكرهين الجنة   أُقسم بالله لتنزلنَّهْ

طائعة أو لتكرهنَّهْ   فطالما قد كنتِ مطمئنة

عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

- لمَّا حضرت عبادة بن الصامت الوفاة، قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن.

ثم قال: اجمعوا لي مواليّ وخدمي وجيراني، ومَنْ كان يدخل عليّ، فجمعوا له، فقال: إنَّ يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليَّ من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفسي عبادة بيده، القصاص يوم القيامة، وأحرج على أحدٍ منكم في نفسه شيء ومن ذلك إلا اقتص منِّي قبل أن تخرج نفسي.

فقالوا: بل كنت والدًا وكنت مؤدبًا.

فقال: أغفرتم لي وما كان من ذلك؟ قالوا: نعم.

فقال: اللّٰهم اشهد، أما الآن فاحفظوا وصيَّتي، أحرج على كل

إنسان منكم أن يبكي، فإذا خرجت نفسي فتوضَّئوا فأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسانٍ منكم مسجدًا فيُصلِّي ثم يستغفر لعباده ولنفسه، فإنَّ الله ﷻ قال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ثم أسرع بي إلى حفرتي، ولا تتبعوني بنار(١).

البّراء بن مالك رضي الله عنه:

- عن أنس قال: لقي أخي البراء زحفًا من المشركين، فقال: أقسمتُ عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيٍّ ﷺ، فمُنحوا أكتفاهم، وقُتل شهيدًا(٢).

وعند الطبري: اللَّهم اهزمهم لنا، واستشهدني(٣).

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه:

عن أبي إسحاق قال: قال أبو سفيان بن الحارث لما حضره الموت لأهله: لا تبكوا عليَّ، فما تنطَّفتُ بخطيئة منذ أسلمت(٤).

عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

- عن سعيد بن جبير قال: لما حضر ابن عمر الموت قال: ما آسي على شيء من الدنيا إلا ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل،

---

(١) «وصايا العلماء عند الموت».
(٢) «صفة الصفوة» (١/٦٢٦).
(٣) «تاريخ الطبري».
(٤) «الثبات عند الممات».

وأنِّي لم قاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني: الحجّاج[(١)].

- وقال رضي الله عنه لابنه سالم: يا بنيّ إنْ أنا مت فادفني خارجًا من الحرم، فإنِّي أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجتُ منه مُهاجرًا، فقال: يا أبتِ، إنْ قدرنا على ذلك؟ قال: تسمعني أقول لك، وتقول إنْ قدرنا على ذلك؟ قال: أقول: الحجاج يغلبنا فيصلِّي عليك، قال: فسكت ابن عمر[(٢)].

- وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذُكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأنَّ بين أيديهم جنازة.

السيدة عائشة رضي الله عنها :

- عن ابن أبي مليكة: أنَّ ذكوان أبا عمرو حدَّثه قال: جاء ابن عباس رضي الله عنه يستأذن على عائشة، وهي في الموت، قال: فجئتُ وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، فقلتُ: هذا ابن عباس يستأذن. قالت: دعني من ابن عباس، لا حاجة لي به، ولا تزكيته، فقال عبد الله: يا أمه، إن ابن عباس من صالحي بينك، يُودعك ويُسلِّم عليك.

قالت: فائذن له إنْ شئت.

---

(١) «وصايا العلماء عند الموت».

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد.

قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد، قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تُفارقي كل نصب، وتلقي محمدًا ﷺ والأحبّة، إلا أن تُفارق روحك جسدك.

قالت: إيهًا، يا ابن عباس، قال: كنتِ أحبّ نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن يُحبَ لا طيّبا، سقطت قلادتك ليلة الأبواء، وأصبح رسول الله ﷺ ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٢]، فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرُّخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد يُذكرُ فيها الله إلا براءُ تك تُتلى في آناء الليل والنهار.

قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فوالله لوددتُ أنِّي كنتُ نسْيًا منْسيًا (١).

خُبيب بن عديّ رضي الله عنه :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ

(١) طبقات ابن سعد، والمحتضرين.

يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَان، فَنَفَرُوا لَهُمْ بقريب مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فلما أَحَسَّ بهم عَاصِمٌ وأَصْحَابُهُ، لَجَأُوا إلى مَوْضِعٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ القَومُ فقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا، فأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أن لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا، فقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمَ أَمَّا أَنَا، فلَا أَنْزِلُ على ذِمَّةِ كَافِرٍ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وزيد بْنُ الدَّثِنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بها. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أُسْوَةً -يُرِيدُ الْقَتْلَى- فَجَرَّوهُ وَعَالَجُوهُ، فأبى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وزيد بْنِ الدَّثِنَةَ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، واتباع بنو الحارِثِ بنِ عامرِ بن نوفل بن عبدِ منافٍ خُبيبا، وكَانَ خُبيبٌ هُوَ قتلَ الحارِثَ يومَ بدرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى أَجْمَعُوا عَلى قَتْلِهِ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعضِ بَنَاتِ الحارِثِ مُوسى يَستحِدُّ بها فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَج بُنيٌّ لها وَهِيَ غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ. فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ! قالت:

وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، فوَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رزقه اللَّهِ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دعوني أصلي رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، فقال: والله لَوْلَا أَنْ تحسبوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لزدتُ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، واقْتلهُمْ بِدَدًا، ولا تُبقِ منهم أحدًا، وقال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ للهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ
يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وكان خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصلاة، وأخبر - يعني النبي ﷺ - أَصْحَابَهُ يوم أُصِيبُوا خبرهم، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بن ثابت حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أن يُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبُعِثَ الله لعَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنْ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعَ مِنْه شَيْئًا[1].

(١) أخرجه البخاري في «المغازي» [٤٠٨٦].

زيد بن الدَّثنة رحمه الله :

- اسْتُؤثر يوم الرجيع مع خُبيب فقدّموه للقتل فقالوا: ننشدك الله أتحبُّ أنك الآن في أهلك، وأنَّ محمدًا مكانك، فقال: والله ما أحبّ أنَّ محمدًا يُشاك في مكانه شوكة تؤذيه، وإنِّي جالسٌ في أهلي(١).

موعظة بليغة:

يا ناسي الموت وهو يذكره:

كم أسمعك الموت وعيدك، فلم تنتبه حتى قطع وريدك، ونقض منزلك، وهمَّ مشيبك، ومزَّق مالك وفرَّق عبيدك، وأخلى دارك وملأ بيدك، أما رأيت قرينك؟، أما أبصرت فقيدك؟

أين الوالدون وما ولدوا؟ أين الجبَّارون وأين ما قصدوا؟ أين أرباب المعاصي على ماذا وردوا؟ أما جَنوْا ثمرات ما جنوْا وما حصدوا؟ أما قدموا على أعمالهم في مآلهم، ووفدوا، أما خَلَوْا في ظلمات القبور؟ بكوا والله وانفردوا، أما ذلوا وقلُّوا بعد أن عَتَوْا ومَردُوا، أما طلبوا زادًا يكفي في طريقهم ففقدوا، أما حلّ الموت فحلَّ عقد ما عقدوا، عاينوا والله كلّ ما قدّموا ووجدوا فمنهم أقوامٌ شقوا وأقوامٌ سَعِدُوا.

(١)«صفة الصفوة»، و«الثبات عند المهات».

أين الأحباب؟

سألتُ الدار تخبرني — عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أناخ القوم — أيامًا وقد رحلوا
فقلتُ فأين أطلبهم — وأيّ منازلٍ نزلوا؟
فقالت بالقبور وقد — لقوا والله ما فعلوا
أُناسٌ غرَّهم أملُ — فبادرهم به الأجلُ
فبنوا وبقي على الأيام — ما قالوا وما عملوا
وأُثبت في صحائفهم — قبيحُ الفعل والزَّللُ
فلا يُستعتبون ولا — لهم ملجأ ولا حِيلُ
ندامى في قبورهم — وما يغني وقد حصلوا



٢ - اللحظات الأخيرة من حياة سادات السلف من التابعين ومَنْ بعدهم

الربيع بن خُثيم رحمه الله :

- عن سريَّة الربيع قالت: لما احتُضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بُنيَّة لا تَبكِ، ولكن قولي: يا بشرى اليوم لقيَ أبي الخير (١).

- وعن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم: ألا ندعو لك طبيبًا؟

فقال: انظروا.

ثم تفكر فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها، كانت فيهم مرضى، وكانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي ولا المتداوى، هلك الناعت والمنعوت له (٢).

محمد بن سيرين رحمه الله :

- روي أنه لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنة العالية، وما يُنجيني من النار الحامية.

(١) «حلية الأولياء»، و«المحتضرين».
(٢) المحتضرين.



- وعن الحسن بن دينار أنَّ محمد بن سيرين كان يقول وهو في الموت: في سبيل الله نفسي أعزّ الأنفس عليَّ[(١)].

الحسن البصريّ رحمه الله:

- حينما حضرت الحسن البصريّ المنيَّة (الموت)، حرَّك يديه وقال: هذه منزلة صبر واستسلام[(٢)]!.

- وعن كلثوم بن جبر قال: لما اشتد وجع الحسن بكي، فقيل له: وما يبكيك؟

قال: نُفيْسة ضعيفة، وأمر هؤول (مفزع)، وإنا لله وإنا إليه راجعون[(٣)].

- وقال الحسن: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرتْ في عينه الدنيا.

- وكان الحسن يقول في موعظته:

المبادرة المبادرة، فإنما هي أنفاس، لو حُبسْت انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] يعني: الأنفاس.

---

(١) «الثبات عند الممات».
(٢) «المحتضرين».
(٣) «المحتضرين».

آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك[١].

- ودخل أناس على الحسن البصري في اليوم الذي مات فيه، فقال: مرحبًا بكم وأهلًا، وحياكم الله بالسلام، وأحلّنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صدقتم وصبرتم فلا يكن حظكم من هذا الأمر أن تسمعوه بهذه الآذان، وتخرجوه من هذه الأفواه، فإنَّ مَنْ رأى محمد ﷺ رآه غاديًا ورائحًا لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة.

- وعاد الحسن عليلًا (مريضًا) فوافقه وهو في الموت، ورأى تقلبه وشدة ما نزل به فلمَّا رجع إلى داره قدموا له طعاما فقال: عليكم بطعامكم وشرابكم؛ فإنِّي رأيتُ مصرعًا لا بد لي منه، ولا أزال أعمل حتى ألقاه، وتأخر عن الطعام أيامًا حتى لطف به فأكل[٢].

- وبكى الحسن البصري رحمه الله بكاءً شديدًا في مرض موته، فقيل له: يا أبا سعيد، ما يبكيك؟ فقال: خوفًا من أن يطرحني في النار ولا يبالي.

(١) الإحياء (٤/ ٦٦٨).
(٢) الحسن البصري ص (٩٠).

الإمام الشافعي رحمه الله:

- قال الربيع بن سليمان، دخل المزني على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقال له: كيف أصبحت يا أستاذ؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، ولإخواني مُفارقًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، ولسوء أعمالي مُلاقيًا.

قال: ثم رمى بطرفه نحو السماء واستعبر ثم أنشأ يقول:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي
وإنْ كنت يا ذا المنِّ والجود مُجرما

ولما قسى قلبي وضاقتْ مذاهبه
جعلتُ الرجا منِّي لعفوك سُلما

تعاظمني ذنبي فلمَّا قرنته
بعفوك ربِّي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل
تجود وقد أغوى صفيك آدما

فجُرمي عظيم من قديمٍ وحادثٍ
وعفوك يا ذا العفو أعْلى وأجْسما[١]

سعيد بن المسيب رحمه الله:

- عن عبد الرحمن بن محمد القاريّ عن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه: إيايّ وحاديهم هذا الذي حَدَوْا لهم هذا الذي

---

(١) المنهج الأحمد، وصفة الصفوة.

يقول: استغفروا له غفر الله لكم، فأرادوا أن يُحولوه إلى القبلة، فقال: ما لكم؟ قالوا: نُحوِّلك إلى القبلة، قال: ألم أكن على القبلة إلى يومي هذا؟! ما أرى هذا إلا عمل فلان(١).

- وقال: أوصيتُ أهلي إذا حضرني الموت بثلاث: ألا يتبعني راجز، ولا نار، وأن يعجل بي، فإن يكن لي عند ربي خير، فهو خير مما عندكم(٢).

سليمان التيمي رحمه الله:

- يقول عنه ابنه المعتمر لمَّا حلّ به الموت: قال لي أبي حين حضره الموت: يا بُنيّ، حدِّثني بالرُّخص، لعلي ألقي الله تعالى وأنا أحسن الظن به(٣).

عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم:

- كان عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على فراش الموت، يعدّ أنفاس الحياة، وأهله حوله يبكون، فبينما هو يصارع الموت، سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب، ونفسه تحشرج في حلقه، وقد اشتد نزعه، وعظم كربه، فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا بيدي، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى المسجد، وقالوا: وأنت على هذه الحال؟

قال: سبحان الله! أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه؟ خذوا

---

(١) «الثبات عند المات».

(٢) «الطبقات».

(٣) «حلية الأولياء»، و«صفة الصفوة».

بيدي، فحملوه بين رجليْن، فصلَّى ركعته مع الإمام، ثم مات في سجوده، مات وهو ساجدٌ.

عُروة بن الزبير رحمه الله:

- عن هشام أن أباه مات وهو صائم، وجعلوا يقولون له: أفطر، فلم يُفطر، وقال هشام بن عروة: أنا أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم[1].

الإمام الأعمش رحمه الله:

- قال جابر بن نوح، بكى الأعمش عند موته فقيل له: يا أبا محمد، وأنت تبكي عند الموت؟ قال: وما يمنعني من البكاء، وأنا أعلمُ بنفسي.

- وقال أبو بكر بن عيّاش:

دخلتُ على الأعمش، وقد حضره الموت، فقال: لا تُؤْذننّ بي أحدًا، وإذا أصبحت فاخرجوا بي إلى الجبَّان فألقني ثمَّ، ثم بكى[2].

أبو مسلم الخولاني رحمه الله:

- قحط الناس في عهد معاوية رضي الله عنه فخرج يستسقى بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبي مسلم: ترى ما داخل الناس فادُع الله، فقال: أفعل على تقصيري، فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه، فقال: اللّهم، إنا بك نستمطر، وقد جئتُ بذنوبي إليك، فلا تخيِّبني، قال: فما انصرفوا حتى سُقوا.

---

(١) السير.

(٢) «المحتضرين».

فقال أبو مسلم: اللّٰهم إن معاوية أقامني مقام سُمعة فإن كان لي عندك خير فاقْبضني إليك[١].

ابن السمّاك رحمه الله:

- عن عبد الله بن صالح العجلي، قال: قال ابن السماك عند وفاته: «اللّٰهم إنك تعلم أني وإنْ كنتُ أُعصيك، أني أحبُّ فيك مَنْ يطيعك»[٢].

الإمام سفيان الثوري رحمه الله:

- لما احتُضر سفيان الثوري جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي؟! لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقي الله بأمثال الجبال من الخطايا.

- وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض، فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت.

عبد الله بن المبارك رحمه الله:

- قيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦٠].

---

(١) «الزهد».
(٢) «صفة الصفوة».

- ولما حضرتْ ابن المبارك الوفاة، قال لنضر مولاه: اجعل رأسي على التراب، فبكى نضر، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم، وأنت ها هنا تموت فقيرًا غريبًا، فقال: اسكت، فإنِّي سألت الله أن يحييني حياة السعداء ويميتني ميتة الفقراء(١).

عبد الله بن إدريس رحمه الله:

- لما نزل الموت بعبد الله بن إدريس، بكت ابنته، فقال: يا بُنيتي، لا تبك، فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة، كلها لأجل هذا المصرع.

- ثابت البناني رحمه الله:

- قال مبارك بن فضالة: دخلتُ على ثابت فقال: يا إخوتاه لم أقدر أن أُصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم، ولا أنزل إلى أصحابي فأذكر معهم، اللّٰهم إذْ حبستني عن ذلك فلا تدعني في الدنيا ساعة(٢).

- مالك بن دينار رحمه الله:

- وعن أبي عيسى قال: دخلوا على مالك بن دينار وهو في الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى (٣).

---

(١) العاقبة.
(٢) السير.
(٣) صفة الصفوة.

- وعن حزم بن أبي حزم قال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه، وهو يكابد نفسه، فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللّهم إنك تعلم أنِّي لم أكن أحبّ البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج[(١)].

- وعن أبي عبد الصمد العمي قال: سمعت مالك بن دينار في مرضه يقول: وهو من آخر كلام سمعته يتكلم به: ما أقرب النعيم من البؤس! يعقبان ويوشكان زوالا[(٢)].

يزيد الرقاشي رحمه الله:

- لما احتضر يزيد الرقاشي بكى، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟

قال: أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل، وصيام النهار، ثم بكى وقال: مَنْ يُصلي لك يا يزيد؟

ومَنْ يصوم عنك؟

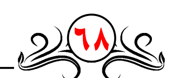
ومَنْ يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟

ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟[(٣)].

عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

- عن فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز أنها قالت: كنتُ أسمع

(١) صفة الصفوة وحلية الأولياء.
(٢) المحتضرين.
(٣) المحتضرين.



عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللّهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار.

فلما كان اليوم الذي مات فيه، خرجتُ من عنده، فجلستُ في بيتٍ قريبٍ منه، بيني وبينه باب فسمعته يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ثم بعد هذا لم أسمع له حركة ولا كلامًا، فقلتُ لخادم عنده انظر إلى أمير المؤمنين ما صنع، فلما دخل عليها صاح فأسرعتُ إليه، فإذا هو ميت رحمه الله[١].

- وعن ليث بن أبي رقية كاتب عمر بن عبد العزيز أن عمر بن عبد العزيز قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصَّرتُ، ونهيتني فعصيتُ، ولكن لا إله إلا الله، ثم أحدّ النظر، وقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قُبض[٢].

سعيد بن جُبير رحمه الله:

- هو سعيد بن جبير[٣] وارث علم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وأحد أعلام التابعين وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج على الخليفة عبد الملك بن مروان لعسفه وإسرافه في القتل فلما انهزم ابن الأشعث في وقعة دير الجماجم

(١) حلية الأولياء.

(٢) المحتضرين.

(٣) قال عنه الإمام أحمد رحمه الله: «مات سعيد بن جبير وما من أحدٍ إلا وهو محتاج إلى علمه».

وقتل لحق سعيد بمكة، فقبض عليه واليها حين ذاك خالد بن عبد الله القسري، وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال الحجاج: بل أنت شقي ابن كسير. فقال: بل كانت أمي أعلم باسمي منك. قال: شقيت أمك وشقيت أنت. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى. فقال: لو علمت ذلك لاتخذتك إلهًا. قال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة وإمام الهدى. قال: فما قولك في عليّ؛ أهو في الجنة أم هو في النار؟ قال: لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها[(١)].

قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم[(٢)].

قال: أحب أن تصدقني. قال: إن لم أجبك لم أكذب عليك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خُلِقَ من طين والطين تأكله النار. قال: ما بالنا نضحك؟ قال: لم نستو القلوب، وازاد الحجاج أن يغري سعيدًا بمباهج الدنيا ولهوها، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه، فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح وإلا

(١) ولا شك أن عليّ بن أبي طالب في الجنة.
(٢) المقصود بالخلفاء هنا هو من جاء بعد الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكى. ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد فقال الحجاج: ما يبكيك؟ أهو اللعب؟ قال سعيد: هو الحزن أما النفخ فذكرني يومًا عظيمًا يوم النفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتاد فمن شاة تبعث معها يوم القيامة، فقال الحجاج: ويلك يا سعيد!!

قال: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة، فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك. قال: اختر لنفسك يا حجاج فو الله لا تقتلني إلا قتلك الله مثلها في الآخرة، قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر، قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج ضحك، فَأُخبرَ الحجاج بذلك فرده، وقال: ما أضحكك؟

قال: عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك، قال الحجاج: اقتلوه. فقال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، قال: وجهوا به لغير القبلة، قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، قال: كبوه على وجهه. قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، قال

الحجاج: اذبحوه، قال سعيد: أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دعا سعيد الله.

فقال: اللّٰهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي(١)، وكان ذبحه في شعبان سنة ٩٥ للهجرة ومات الحجاج بعده في رمضان من السنة نفسها، ولم يسلطه الله على أحد بعده إلى أن مات، ولما ذُبِحَ سعيدٌ سال منه دم كثير فاستدعى الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعمن كان قتلهم قبله فإنه كان يسيل منهم دم قليل فقالوا: قُتل هذا ونفسه معه والدم تبع النفس وأما غيره فكانت نفسه تذهب من الخوف فلذلك قَلَّ دَمُهم. ولَمَّا علم الحسن البصري بأن الحجاج قتل سعيد بن جبير ذبحًا، قال: اللّٰهم أئتِ على فاسق ثقيف والله لو أن ما بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتل سعيد لَكَبَّهم الله عز وجل في النار.

- ولما حضرت الحجاجَ الوفاةُ كان يغيب ثم يفيق ويقول: مالي ولسعيد بن جبير وكان في مدة مرضه إذا نام رأى سعيدًا آخذًا بمجامع ثوبه ويقول له: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيستيقظ مذعورًا، ويقول: مالي ولسعيد بن جبير، ورؤى الحجاج في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلته وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

(١) «صور من حياة التابعين».

الخليفة الأموي (المأمون) رحمه الله :

- لمَّا حضر المأمون الموت افترش رمادًا واضطجع عليه وقال: يا مَنْ لا يزول ملكه ارحم مَنْ زال ملكه.

الخليفة هارون الرشيد رحمه الله :

- وحكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة].

- ولما مرض هارون الرشيد، ويئس الأطباء من شفائه، وأحسّ بدنوّ أجله قال: احضروا لي أكفانًا، فأحضروا له، فقال: احفروا لي قبرًا، فحفروا له، فنظر إلى قبره وقال: ما أغنى عني ماليّه، هلك عني سلطانيه!!

- ولـمَّا يئس الرشيد من نفسه أنشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه
لا يستطيع دفاع مكروه قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي
قد كان أبرأ مثله فيما مضى[1]

هشام بن عبد الملك رحمه الله :

- لما احتضر هشام بن عبد الملك نظر إلى أهله يبكون حوله فقال: جاء هشام إليكم بالدنيا، وجئتم له بالبكاء، ترك لكم ما جمع وتركتم له ما حمل، ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله.

---

(١) «التذكرة».

عبد الملك بن مروان رحمه الله :

- يروى أن عبد الملك بن مروان لمَّا أحسَّ بالموت قال: ارفعوني على شرف، ففعل ذلك، فتنسَّم الروح، ثم قال: يا دنيا ما أطيبك! إنَّ طويلك لقصير، وإنَّ كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور..!!

- وقيل لعبد الملك في مرضه الذي مات فيه: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

مروان بن عبد الملك رحمه الله :

- ولما حضرت مروان بن عبد الملك الوفاة نظر إلى غسَّال بجانب دمشق يغسل ثوبًا بيده، ثم يضرب به المغسلة، فقال: ليتني كنت غسَّالًا آكل مِنْ كسب يدي يومًا بيوم، ولم آل من أمر الدنيا شيئًا، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه[(١)].

الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

- بكى الإمام ابن الجوزي عند موته فقال له تلاميذه: يا إمام ألسْتَ قد فعلت كذا وكذا؟!

---

(١) «البحر الرائق».

فقال: والله، إنني أخشى أن أكون فرّطتُ، ونافقتُ فيحقُّ عليَّ قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨].

ثم قال: ولقد تاب على يديَّ في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يديّ أكثر من مائتي نفس.

وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل، ويحقُّ لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي، ولقد جلستُ يومًا فرأيتُ حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَنْ قَدْ رقّ قلبه، أو دمعتْ عينه، فقلتُ لنفسي: كيف بك إنْ نجونا وهلكت! فصحتُ بلسان وجدي: إلهي وسيدي إنْ قضيتَ عليّ بالعذاب غدًا فلا تعلمهم بعذابي، صيانةً لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولون عذّب الله مَنْ دلَّ عليه[1].

السيدة نفسية ابنة الحسن بن زيد العلوية رحمها الله:

- كانت دائمًا تقول: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟!

حجَّت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسره.

(١) «صيد الخاطر».

- تُوفيت - رحمها الله تعالى - وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: واعجباه، أنا منذ ثلاثين سنة أسألُ الله تعالى أنْ ألقاه صائمة، أأفطرُ الآن؟!، هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢][(١)].

وفاة رجل صالح:

- مرض رجل صالح، وكان يعمل مؤذنًا للقرية، ولا يأخذ على ذلك أجرًا، وكانت له مزرعة لا يمنع أحدًا من الأكل منها لا من إنسان ولا من حيوان، وكان كثير الصدقة، فمرض قبل وفاته لمدة أربعة أيام، وعند احتضاره اجتمع أقاربه فكان لا يكلِّمهم ويُردِّدُ: أستغفر الله، لا إله إلا الله، وفجأة رفع يده في الهواء كأنه يصافح أحدًا وهو يقول: أهلًا بصديقي وحبيبي ثم مات - رحمه الله تعالى -[(٢)].

مات وهو يرفع الآذان.

- وهذا مؤذن يؤذن عشرين سنة ابتغاء مرضات الله ﷻ، وقبل الموت مرض مرضًا شديدًا أعجزه أن يخرج للصلاة، وفي اليوم

---

(١) «مرآة النساء».

(٢) «تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان».

الموعود بكى، ورفع أكفّ الضراعة إلى الله وقال: يا رب!! أُؤذن عشرين سنةً وأُحرم من الآذان في آخر عمري!! فنادى على أولاده، وقال لهم: وضئوني، فوضَّئوه، فقال لهم: هل حان وقت صلاة الظهر؟ قالوا: نعم، فقام على سريره في بيته واتجه إلى القبلة، ورفع الآذان كاملًا إلى أن وصل إلى قوله: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، ثم سقط على سريره، وقد فاضت روحه إلى الله، ولسانه يُردِّد: لا إله إلا الله.

وفاة قارئ للقرآن الكريم:

- كان أحد الصالحين قد اعتاد أن يقرأ كل يوم عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وذات يوم كان يقرأ في سورة "يس" حتى إذا ما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ٢٤]، صعدت روحه إلى السماء، فتعجب أصحابه من حوله، وقالوا هذا الرجل كان صالحًا فكيف يختم له بهذه الآية؟ فرآه أحد الصالحين في المنام بعد دفنه، فقال له: يا فلان، إنك قد خُتم لك بقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ فكيف حالك مع الله؟

فقال: لمَّا دفنتموني وتركتموني، جاءني الملكان وسألاني وقالا: مَنْ ربك؟

فأكملتُ لهم القراءة فقلْتُ: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ [يس: ٢٥]، ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا

غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس](١).

موعظة بليغة:

رحم الله عبدًا عمل لساعة الموت:

يقول شميط بن عجلان:

أيُّها المغترُّ بطول صحته، أما رأيت ميتًا قطّ من غير سقم؟!

أيّها المغترَّ بطول المهلة، أما رأيت مأخوذًا من غير عُدة؟!

إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدّم من لذاتك.

أبالصحة تغترُّون؟ أم بطول العافية تمرحون؟

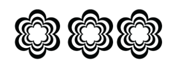
أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترؤون؟! إنَّ ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك، ولا كثرة احتشادك.

أما علمت أنَّ ساعة الموت ذاتُ كربٍ وغُصص وندامة على التفريط؟

رحم الله عبدًا عمل لساعة الموت.

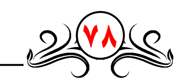
رحم الله عبدًا عمل لما بعد الموت.

رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت(٢).



(١) «مائة قصة وقصة» محمد أمين الجندي.

(٢) «صفة الصفوة»، و«قصر الأمل».



الفصل الثاني
الطالحون على فراش الموت

- قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

- قال عبد العزيز بن أبي روَّاد: حضرتُ رجلًا عند الموت يُلقن الشهادة «لا إله إلا الله» فقال في آخر ما قال: هو كافر بما نقول، ومات على ذلك، فقال فسألتُ عنه فإذا هو مُدمنُ خمرٍ، وكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوْقعته[(١)].

- ومنذ سنوات حدثت حادثة، وحاصلها أنَّ رجلًا في حال احتضاره ظهر عليه من الاعتراض على ربِّه ما ظهر، فجاء بعض أصحابه ممن كان يُصلي معه في المسجد - والله أعلم - بما في القلوب -، وقال: يا عبد الله، هذا المصحفُ الذي كنتُ تقرأ فيه، فاتق الله في نفسك، ولقَّنه كلمة التوحيد، فقال: هو كافرٌ بالمصحف وبـ «لا إله إلا الله»، وخُتم له على ذلك الحال[(٢)].

- ومنهم مَنْ كان في سكرات الموت فيقولان له: قل لا إله إلا الله، فيقول: هل رأى الحب سُكارى.

- ومنهم مَنْ قال عند موته: إنَّ ربي ظلمني.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب.
(٢) «الخوف من سوء الخاتمة».

قال ابن أبي الدنيا رحمه الله:

- حدثني أبو الحسن بن أحمد الفقيه قال: نزل الموت برجل كان عندنا فقيل له: استغفر الله، فقال: ما أريد، فقيل له: قُل لاَ إله إلا الله، فقال: ما أقول لجهدٍ جهده ثم مات.

نهاية مُدمن للغناء:

- يقول الشيخ/ محمد حسان - حفظه الله - في إحدى كتبه حاكيًا عن حال رجلٍ أدْمن الغناء قائلًا:

«كان هذا الرجل من مدينة المنصورة، مُدمنًا للغناء، لم يدخل إلى بيت من بيوت الله، ولم يُصلِّ في يوم من الأيام، ولمَّا حضرته الوفاة كان صوت أم كلثوم لازال يُغنِّي، والرجل يحتضر، وكان يسكن بجواره أحد الملتزمين فذُهِل بعدما عرف عن حال الرجل في موته، وصوت الكاسيت، فذهب إلى أسرته وقال لهم: اتقوا الله، أبوكم يُحتضر، ولازلتم تضعون الغناء.

يقول: فأسرع أحد أبنائه، وأخذ شريط الغناء من الكاسيت، ووضع شريط القرآن، يُقسم بالله أنَّ الرجل بعد لحظات آفاق من السكرة، أفاق وكشف الغطاء عن وجْهه، فسمع القرآن قائلًا فقال: لا، لا أخرجوا القرآن، وَضَعُوا الغناء، لأنه يُنعش قلبي».

ويواصل الشيخ حديثه قائلًا:

ثم شهق شهقة ومات بعدها.



نعم، مات على الغناء وكان آخر كلام يُردِّده.

ويسمعه: كلام مُرتبط بالغناء وحبه.

نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

- وذكر ابن القيم رحمه الله أنَّ أحد المحتضرين كان صاحب معاصي وتفريط، فلم يلبث أن نزل به الموت ففزع مَنْ حوله إليه، وأخذوا يُذكِّرنه ويلقِّنونه لا إله إلا الله، وهو يدافع عبراته ودموعه، فلمَّا بدأت روحه تُنزع صاح بأعلى صوته وقال: وما تنفعني لا إله إلا الله؟!! وما أعلم أنِّي صليْتُ لله صلاة منذ بلغت !!

ثم أخذ يشهق حتى مات !!.

- خاتمة بعض رجال الناصر بن علناس:

- يُروى أنَّ بعض رجال الناصر بن علناس نزل به الموت، فجعل ابنه يقول به: قل لا إله إلا الله، فقال: الناصرُ مولاي، فأعاد عليه القول فأعاد مثل ذلك، ثم أصابته غشيةٌ، فلما أفاق قال: الناصرُ مولاي، ثم قال لابنه: يا فلانُ الناصر إنما يعرفك بسيفك، والقتل القتل ثم مات[1]. نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

إلى كُلِّ مُدخن:

- وهذا شابٌّ في سكرات الموت يقولون له: قل لا إله إلا الله، فيقول لهم: أعطوني دخانًا، فيقولون: قل لا إله إلا الله.

(١) الداء والدواء.

فيقول: أعطوني دخانًا، فيقولون: قل لا إله إلا الله علّه يُختم لك بها، فيقول: أنا بريئ منها، أعطوني دخانًا.

لم تقدرْ على النطق بالشهادة:

- وهذه عجوزٌ قد بلغتْ من الكبر عتيًّا، كانت تقع في أعراض الناس وتغْتابهم وتأكل في لحومهم، وقف ابنها بجوار رأسها يذكّرها بالشهادة عند احتضارها، فردَّت عليه بعد أن كرَّرها على سمعها مرارًا، وقالتْ: والله يا بني، إنها أثقل عليَّ من الجبال الراسيات(١).

- نهاية الحجَّاج بن يوسف الثقفي:

- قال الحجَّاج عند موته: اللّهم، اغفر لي فإنَّ الناس يقولون: إنك لا تغفر لي، فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها، ولمَّا حكى ذلك للحسن قال: أقالها؟

قيل: نعم، قال: عسى.

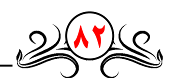
- وكان الحجاج الثقفي عثمانيًا أمويًا، يميلُ إليهم ميلًا عظيمًا، ويرى أن خلافهم كُفر، ويستحل بذلك الدماء، ولا تأخذه في ذلك لوْمة لائم.

- وعن هشام بن حسَّان: أحصوا ما قتل الحجَّاج ظُلْمًا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفًا.

- ومن أعظم ذنوبه قتله للإمام الرباني سعيد بن جُبير رحمه الله.

---

(١) «أيها العاصي تذكر» للغامدي (ص ٦٦).



- وكان يقول الحجاج عند موته: مالي ولسعيد بن جبير، مالي ولسعيد بن جُبير[(١)].

وذكر ابن القيم أنَّ أحد تجار العقار ذُكِّر بـ «لا إله إلا الله» عند احتضاره، فجعل يُردِّدُ ويقول: هذه القطعة رخيصة، وهذا مُشتر جيد، وهذا كان حتى خرجتْ روحه، وهو على هذا الحال[(٢)].

- **وبعض السماسرة** جاء عند الموت، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف، غلبت عليه السمسرة[(٣)].

- وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والبستان الفلاني افعلوا فيه كذا[(٤)].

اسْقني واشْرب:

- قال ابن القيم: اُحْتُضِر رجلٌ ممن كان يُجالس شُرَّاب الخمور، فلما حضروا نزع روحه أقبل عليه رجلٌ ممن حوله، وقال: يا فلان، قل: «لا إله إلا الله» فتلبَّد لوْنه، وثقل لسانه، فردَّد عليه صاحبه: يا فلان، قل: لا إله إلا الله، فالتفت إليه وصاح: لا، اشرب أنت ثم اسْقني، اشرب أنت ثم اسْقني، وما زال يُردِّدها حتى فاضت روحه إلى بارئها[(٥)].

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/١٤٣).
(٢) «الداء والدواء».
(٣)، (٤) السابق.
(٥) «التذكرة».

❖ نهايات حزينة:

يقول ابن القيم رحمه الله(١):

– قيل لرجل: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتنا تنْتنا، حتى قضي.

– وقيل لآخر مثل ذلك، فقال: وما ينفعني ما تقول ولم أدَعْ معصية إلا فعلتها؟ ثم قضى ولم يقلْها.

– وقيل لآخر ذلك، فقال: وما يُغني عنِّي، وما أعرف أني صليتُ لله صلاةً؟ ثم قضى ولم يقلْها.

– وقيل لآخر ذلك، فقال: هو كافرٌ بما تقول، وقضى.

– وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردتُ أن أقولها لساني يُمسك عنها.

– وأخبرني مَنْ حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول: لله، فِلس لله، حتى قضى.

* من أقوال مشاهير الملحدين عند الموت:

١ – قال سيزر بورجيا عند موته: «في حياتي كنتُ أستعد لكل شيء إلا الموت، وأنا الآن أموت ولستُ مستعدًا لهذا».

٢ – توماس هبس (فيلسوف): «أنا على وشك القفز في ظلام، ولو كنتُ أملك العالم في هذه اللحظة لدفعته لشراء يوم واحد في الحياة».

---

(١) «الداء والدواء».

٣ – توماس باين (كاتب ملحد عاش في القرن الثامن عشر): «أرجوكم لا تتركوني وحيدًا، يا إلهي، ماذا جنيتُ لأستحق هذا؟ لو أنِّي لي العالم كله ومثله معه لدفعتُ به هذا العذاب، لا تتركوني وحيدًا ولو تركتم معي طفلًا، فإني على شفير جهنم، إنِّي كنتُ عميلًا للشيطان».

٤ – السير توماس سكوت: «حتى لحظات مضت لم أؤمن بوجود إله أو نار، ولكن الآن أشعر بوجودهما حقيقةً، وأنا الآن على شفير العذاب وهذه عدالة القضاء الرباني».

٥ – فولتير (فيلسوف فرنسي) يتحدث مع طبيبه: «لقد أهملني الرب والناس، وسأعطيك نصف ما عندي، إن أبقيتني حيًّا لستة أشهر، أنا ميت وسأذهب إلى الجحيم».

وتقول ممرضته عنه: «كان يصيح طوال الليل طلبًا للمغفرة».

٦ – ديفيد هيوم: «كان يصيح النيران تحرقني بلهبها، وكان يائسًا وقانطًا لدرجة تثير الشفقة».

٧ – نابليون بونابرت قال: «هاأنذا أموتُ قبل وقتي، وأعود إلى باطن الأرض، وأنا الإمبراطور الأعظم، شتان ما بين الهاوية التي أقع فيها وبين جنة الخلد».

٨ – السير فرنسيس نيوبرت قال لمن حول سريره وقت موته: «لا تقولوا لي: لا يوجد إله، فأنا الآن في حضرته، ولا تقولوا لي:

لا يوجد جهنم، فأنا الآن أحسُّ بأني أنزلق فيها تعسًا، وفّروا كلامكم فأنا الآن أضيع، إنها النار التي لو عشتُ ألف سنة لكذَّبت بها، ولو مضت ملايين السنين لما تخلصْت من عذابها، آهٍ آهٍ، إنها النار».

٩ - ديفيد ستراوس قال حين موته: «لقد خذلتني فلسفتي، وأشعر أنني بين فكي ماكينة، ذات أسنان، لا أدري في أي لحظة تطحنني.

١٠ - الدكتور الروسي [جوزيف ستالين]: في مقابلة مع مجلة "نيوزويك" الأمريكية تحدثت سفتلانا ابنة الدكتاتور الروسي [ستالين] عن لحظات موت أبيها فقالت: «لقد كانت ميتة أبي شنيعة، ففي لحظة موته فتح عينيه فجأة، وحملق في الموجودين بنظرة جنونية وغاضبة، وأوْمأ بيده اليسرى إلى شيءٍ ما يحوم فوقنا، وكانت إيماءة تهديد، ثم أسلم الروح»[(١)].



(١) «حوار مع ملحد» أمين الأنصاري.



ويبقى الشعر

وهذه قصيدة رائعة تُبيِّن جميع المراحل من الموت والتغسيل والتكفين، والصلاة على الميت، وسؤال الملكيْن، وهي من شعر الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم .

لَيْسَ الغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ واليَمَنِ
إنَّ الغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحدِ والكَفَنِ

تَمُرُّ ساعاتُ أَيَّامي بِلا نَدَمٍ
ولا بُكاءٍ وَلا خَوْفٍ ولا حَزَنِ

سَفَري بَعيدٌ وَزادي لَا يُبَلِّغَني
وَقسمتي لم تزل والموتُ يَطلبُني

مَا أَحْلَمَ اللهَ عَني حَيْثُ أَمْهَلَني
وقَدْ تَمادَيْتُ فِي ذَنْبي ويَسْتُرُنِي

أَنَا الَّذِي أُغْلِقُ الأَبْوابَ مُجْتَهِداً
عَلى المعاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُني

يَا زَلَّةً كُتِبَتْ فِي غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ
يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ فِي القَلبِ تقتلني

دعْ عَنك عَذْلِي يا من كان يعذلني
لو كنتَ تعلَّمُ ما بي كنتَ تعذرني

دعني أنوحُ على نفسي وأندبها
وأقطعُ الدهرَ بالتذكارِ والحزنِ

دعــني أســحُّ دموعًــا لا انقطــاعَ لهــا
فَهــل عــسى عــبرةٌ منهــا تَخلّــصُني
كــأنني بــين تلــك الأهــلِ مُنطَرِحًــا
علــى الفِــرَاشِ وَأَيْــدِيهمْ تُقلِّــبُني
وَقَــدْ أَتَــوا بطَبيْــبٍ كَــي يُعَــالجني
وَلَــمْ أرَ مــن طَبيْــبِ اليَــومَ يَــنْفعُني
وَاشْــتَدَّ نَزْعِــي وَصَــارَ الــمَوْتُ يَجْــذِبُهَا
مِــنْ كُــلَّ عِــرْقٍ بــلا رِفــقٍ وَلا هَــوَنِ
وَاسْــتَخْرَجَ الــرُّوْحَ مِنِّــي فِــي تَغَرْغُرِهَــا
وَصَــارَ فِــي الحلــقِ مُــرًّا حِــيْنَ غَرْغَرَنِــي
وَسَــلَّ رُوْحِــي وَظَــلَّ الجِــسْمُ مُنطَرِحًــا
عَلَــى الفِــرَاشِ وَأَيْــدِيهمْ تُقلِّــبُني
وَغَمَّــضُوني وَرَاحَ الكُــلُّ وَانْــصَرَفُوا
بَعــدَ الإِيَــاسِ وَجَــدُّوا فِــي شِــرَا كَفَــني
وَقَــامَ مَــنْ كَــانَ أَوْلَــى النَّــاسِ فِــي عجــل
إِلَــى المُغَــسِّلِ يَــأْتِيْنِي يُغَــسِّلُنِي
وَقَــالَ يَــا قَــوْمِ نَبْغِــي غاسِــلاً حَــذِقًا
حُــرًا أدِيْبًــا عَارِفــاً فَطِــنِ
فَجَــاءَني رَجُــلٌ مِــنْهُمْ فَجَرَّدَنــي
مِــنَ الثِّيَــابِ وَأَعْرَانــي وأَفْرَدَنــي

وَأطْرَحُوني عَلَى الألْواحِ مُنفَرِدًا
وَصارَ فَوْقي خَرِيرُ الماءِ يَنْظِفُني

وَأَسْكَبَ الماءَ مِنْ فَوقي وَغَسَّلَني
غُسْلاً ثَلاثاً وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِ

وَأَلْبَسُوني ثِياباً لا كِمامَ لها
وَصارَ زَادي حَنُوطِا حينَ حَنَّطَني

وَقَدَّموني إِلى المحرابِ وانصَرَفوا
خَلْفَ الإِمَامِ فَصَلَّى ثمّ وَدَّعَني

صَلَّوْا عَلَيَّ صَلاةً لا رُكوعَ لها
ولا سُجودَ لعَلَّ اللهَ يَرْحَمُني

وَأَنْزَلوني إلى قَبري على مَهَلٍ
وَقَدَّمُوا واحِداً مِنهم يُلَحِّدُني

وَكَشَّفَ الثّوْبَ عَن وَجْهي لِيَنْظُرَني
وَأَسْبَلَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنيهِ أَغْرَقَني

فَقامَ مُحتَرِماً بِالعَزمِ مُشْتَمِلاً
وَصَفَّفَ اللَّبِنَ مِنْ فَوْقِي وفارَقَني

وقَالَ هُلُّوا عليه التُّرْابَ واغْتَنِموا
حُسْنَ الثَّوابِ مِنَ الرَّحمنِ ذِي المِنَنِ

في ظُلْمَةِ القبرِ لا أُمٌّ هناك ولا
أَبٌ شَفيقٌ ولا أَخٌ يُؤَنِّسُني

وَأَوْدَعُــــونِي وَلَجُّـــوا فِي سُؤالِهِــــمُوا
مَــالِي سِــوَاكَ إلهــي مَــنْ يُخَلِّــصُنِي

وَهَــالَني صُــورَةٌ فِــي العَــيْنِ إذْ نَظَــرَتْ
مِــنْ هَــولِ مَطْلَــعِ مَـا قَــدْ كَـانَ أَدْهَـشَنِي

مِــن مُنكــرٍ ونكــيرٍ مــا أقــولُ لهــمْ
إذ هَــالني منهُمــا مــا كَــانَ أفْــزعني

فَــامْنن علــيَّ بعفــوٍ منــكَ يَــا أملِــي
فــإنَّني مَوثَّـــقٌ بالـــــذنبِ مُــــرْتهنِ

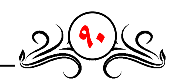
تَقاسَــمَ الأهــلُ مَــالي بَعــدَما انْــصَرفوا
وَصَــارَ وزري عَلــى ظَهْــري فــأثقلني

فَـــلا تَغُرنَّــــكَ الــــدُّنيا وزِينَتُهَــــا
وانْظُــرْ إلى فِعْلَهــا فِي الأهــلِ والــوطنِ

وانْظُـرْ إلى مَـنْ حَـوى الـدُّنيا بأجْمعِهَـا
هَــلْ راحَ منهــا بغــيرِ الــزَّادِ والكَفَــنِ؟

خُــذْ القناعَــةَ مِــن دُنْيَــاك وارْضَ بِهَــا
لَـوْ لَـمْ يكـنْ لـكَ منهـا إلاَّ رَاحَـةُ البـدنِ

يا نفسُ كُفِّي عن العِصْيانِ واكْتَسبي
فِعْــلاً جَمــيلاً لعــلَّ اللــهَ يَرْحمُنِــي



اللّهم أيقظنا من غفلتنا بفضلك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، وألحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار رضوانك، وارزقنا كما رزقتهم من لذيذ مناجاتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

موعظة بليغة:

قال ابن الجوزي رحمه الله:

- كأنك بالعمر قد انقرض، وهجم عليك المرض، وفات كلُّ مراد وغرض، وإذا بالتلف قد عرض أخّاذًا، لقد كنت في غفلة عن هذا:

- كم يوم غابت شمسه، وقلبك غائب، وكم ظلام أُسبل ستْره وأنت في عجائب، وكم أُسبغتْ عليك نعمه وأنت للمعاصي تُواثِبْ، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب، وكم يُنذرك سَلب رفيقك وأنت لاعب، يا مَنْ يأمن الإقامة قد زُمَّت الركائب، أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعايب، وتذكَّر نزول حفرتك وهجران الأقارب، وانهض عن بساط الرقاد، وقل: أنا تائب، وبادر تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب، فالسائق حثيث، والحادي مُجدٌّ والموتُ طالب.

وأخيرًا...

أسأل الله -تعالى - أن يتقبل منِّي هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله في ميزان حسناتي، يوم أُدرج في أكفاني، ولا يسعني إلا أن أقول:

- اللّٰهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا علمت الوفاة خيرًا لي..

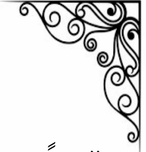
- اللّٰهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك بُرْدَ العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنةٍ مُضلة.

- اللّٰهم زيَّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين.

سبحانك اللّٰهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه/ الملتمسُ رِضَاء رَبِّه
عبد الوهاب زيدان أبو شهبة
كفر الدوار - بحيرة.
٠١٢٢٤١٥١٦٠٨
للتواصل عبر
Facebook
أ. عبد الوهاب زيدان أبو شهبة

الفهرس



قريبًا.... إن شاء الله تعالى:

كتاب:

اعْرَفْ حَبِيبَك (الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ)

قطفها لكم من بستان السيرة:

عَبْدُ الْوَهاب زيدان أبُو شهْبَة

